

قطار الذكريات لا يتوقف في محطات الموت ولا يراها" ، قراءة في نص للسيد عبدا العبداالمحسن

"قطار الذكريات لا يتوقف في محطات الموت ولا يراها" ، قراءة في نص للسيد عبدا العبدالمحسن

قراءة: كاظم الخليفة

النص:

الطرقاُتُ وحدها

أنا مسافةٌ ما بين خطوةٍ وتيهٍ

الرجاءُ يضيعُ

والأملُ تدهسُهُ لوعةٌ وغربةٌ .

المذبوحُ هنا

يئنُّ على سكةِ الحديدِ الممتدةِ إلى ضفةٍ لا يراها قطارُ .

ما أطولني والطريق يمشي

يتلوّى في أحاديدي من ذكرياتي التي لا تعرفهُ

المارةُ مولعون بالسجائرِ

ما أكثرهم!

صامتون ..

ومطايهم تقف لهم

يرحلون عليها كالموتى

صامتين ..

أرغب نهاية الطريق وهي تأتي ..

لا شيء ..

أوقفني الحزنُ

ما عادت قدماي تسيران

تمرني المباني

الأرصفة تجف مني

حتى النهر يخالني دمعةً منهُ

علَّهُ ذرفني هنا وأنا أفقد ذاكرتي

الرجوع مليءٌ بالألمِ

بجعةٌ بيضاءٌ

تقطرُ صغارَها وأخرياتِ

والنهرُ يحملهم بلا غضبٍ.

السماءُ وحدها خائفةٌ

تلبدتُ بغيومٍ سوداءٍ - حالكةٍ

ولم تمزقها الشمسُ

كأنَّ - النهارَ يخشى أنْ يظهرَ.

يمتدُّ ما بينَ جفني وشفتي نهرٌ مالحٌ

العطشان لا يُسقى بماءٍ مالحٍ

ساخنٌ هذا الدفقُ

وأنا أرتجفُ والبردُ يسخرُ من معطفي.

آهٍ

ما أقربني منكُ

يا شجر الصمفاقِ هنا

وأنت نخلة هناك لكل مريمٍ تهزها

من أين تساقط كل هذا الحب يا جوادُ؟!!

القراءة:

يعتقد الوجوديون أن "العصيان البشري هو احتجاج طويل ضد الموت"، لذا لا بد من مواجهته كحقيقة واقعة يتساوى فيها جمال العيش ونكده في نهاية المطاف. أما الشعراء، فإنهم لا يواجهونه، بل يخلقون عالماً موازاً للعالم المادي ولا يشبه عالم المثل الأفلاطوني. حيث هو تعديل وإضافة لهذا العالم الذي يجمُل بالأحباب والأصدقاء فليس من الاثق أن تكون نهايته العدم.

من هذا المنطلق، يسترجع الشاعر السيد عبداً حياة ابن عمه وصديقه "جواد" السابقة بشيء من الحنين والحزن. وينظر إليه باعتبار أن فقدته لم يبعده، بل هو الآن أكثر اقتراباً منه من ذي قبل. فالمحرص ذلك الحنين هو غربته المؤقتة لدواعي السفر حيث يستحضر غربته أخرى دائمة يتصورها يفقده لـ"جواد". ويجعل من القطار الذي يشاهد من خلاله الأشياء وكأنها تعبره، كسلسلة من الذكريات المترابطة في عمريهما بجميع محطاته. وحتى "مفردة" القطار لا يراها مناسبة لبوحه، لذلك يجلب منظراً أكثر حميمية بتصوره لسرب الأوز الذي يتتابع في مشيته. لذلك هو يفصح عن مشاعره بكثير من الدهشة وكأنه لا يريد أن يشعر أنه قد فقدته حقاً.

أحسن ا عزاؤك يا صديقي، وتغمد الفقيد بواسع رحمته

والأملُ تدهسُهُ لوعةٌ وغربةٌ.

المذبوحُ هنا

يئنُّ على سككِ الحديدِ الممتدةِ إلى ضفةٍ لا يراها قطارٌ.

ما أطولني والطريق يمشي

يتلوّى في أحاديدي من ذكرياتي التي لا تعرفه

المارةٌ مولعون بالسجائرِ

ما أكثرهم!

صامتون ..

ومطاياهم تقف لهم

يرحلون عليها كالموتى

صامتين ..

أرقب نهاية الطريق وهي تأتي ..

لا شيء ..

أوقفني الحزنُ

ما عادت قدماي تسيران

تمرني المباني

الأرصفة تجف مني

حتى النهر يخالني دمةً منهُ

علاهُ ذرفني هنا وأنا أفقد ذاكرتي

الرجوع مليءٌ بالألمِ

بجعةٌ بيضاءُ

تقطرُ مغارها وأخرياتِ

والنهرُ يحملهم بلا غضبٍ .

السماءُ وحدها خائفةُ

تلبدتُ بغيومٍ سوداءٍ حالكةٍ

ولم تمزقها الشمسُ

كأنَّ النهارَ يخشى أنْ يظهرَ .

يمتدُّ ما بينَ جفني وشفتي نهرٌ مالِحٌ

العطشان لا يُسقى بماءٍ مالِحِ

ساخنٌ هذا الدفقُ

وأنا أرتجفُ والبردُ يسخرُ من معطفي .

آهٍ

ما أقربني منك

يا شجر الصفصاف هنا

وأنت نخلة هناك لكل مريم تهزها

من أين تساقط كل هذا الحب يا جواد؟!!

القراءة:

يعتقد الوجوديون أن "العصيان البشري هو احتجاج طويل ضد الموت"، لذا لا بد من مواجهته كحقيقة واقعة يتساوى فيها جمال العيش ونكده في نهاية المطاف. أما الشعراء، فإنهم لا يواجهونه، بل يخلقون عالماً موازاً للعالم المادي ولا يشبه عالم المثل الأفلاطوني. حيث هو تعديل وإضافة لهذا العالم الذي يجمُل بالأحباب والأصدقاء فليس من اللائق أن تكون نهايته العدم.

من هذا المنطلق، يسترجع الشاعر السيد عبداً حياة ابن عمه وصديقه "جواد" السابقة بشيء من الحنين والحزن. وينظر إليه باعتبار أن فقدته لم يبعده، بل هو الآن أكثر اقتراباً منه من ذي قبل. فالمحرص ذلك الحنين هو غربته المؤقتة لدواعي السفر حيث يستحضر غربته أخرى دائمة يتصورها بفقدته لـ"جواد". ويجعل من القطار الذي يشاهد من خلاله الأشياء وكأنها تعبره، كسلسلة من الذكريات المترابطة في عمريهما بجميع محطاته. وحتى "مفردة" القطار لا يراها مناسبة لبوحة، لذلك يجلب منظرًا أكثر حميمية بتصوره لسرب الأوز الذي يتتابع في مشيته. لذلك هو يفصح عن مشاعره بكثير من الدهشة وكأنه لا يريد أن يشعر أنه قد فقدته حقاً.

أحسن ا عزاؤك يا صديقي، وتغمد الفقيد بواسع رحمته